بسم الله الرحمن الرحيم

بعد سبع سنوات أين الخلاص

الشيخ أيمن الظواهري



بسمِ الله والحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله وآلِه وصحبِه ومن والاه

أيها الإخوةُ المسلمون في كلِ مكانٍ السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

وبعدُ

تمرُ علينا -في هذه الأيامِ- سبعُ سنواتٍ على ثوراتِ الشعوبِ العربيةِ على حكامِها، التي بدأت في تونسَ ثم مصرَ واليمنِ وليبيا وسوريا.

وقد تم كبتُ كلِ هذه الثوراتِ إلا سوريا، التي دخلت في دوامةِ الحلولِ الدوليةِ، وعادتِ النظمُ الحاكمةُ الطاغيةُ في تونسَ ومصرَ واليمنِ وليبيا، أشدَ ضراوةً وفسادًا.

فماذا يمكنُ أن نتعلمَه من هذه التجربةِ المريرةِ، التي أدت لضياعِ الغضبةِ الشعبيةِ ضد الفسادِ والإجرامِ والظلمِ، ولماذا تم التلاعبُ برغباتِ الشعوبِ المسلمةِ الراغبةِ في تحكيمِ الشريعةِ وقلعِ الفسادِ وتحريرِ بلادِ المسلمين.

علينا أن نتأملَ مليًا في هذه التجاربِ المريرةِ، لنعلمَ من أين استطاعَ العدوُ أن يلتفَ على هذه الثوراتِ الجبارةِ، التي زلزلتِ الدنيا كلَها، واضطرت أمريكا والغربَ والشرقَ لأن يتراجعوا أمامَها، ويلتفوا عليها، بعد أن أدركوا عجزَهم عن مواجهةِ طوفانِها، فضللوها في مسارِها نحو الحريةِ والكرامةِ وتحكيمِ الشريعةِ، وساقوها لمستنقعِ المساوماتِ والمؤامراتِ والتنازلاتِ العقديةِ والسلوكيةِ والسياسيةِ، ثم كانتِ النتيجةُ الحتميةُ؛ خسارةُ الدينِ والدنيا.

لقد كان من أهم النقائصِ التي شابت هذه الثوراتِ، والتي تقعُ المسؤوليةُ الأولى فيها على القياداتِ، التي رَكِبتْ موجتَها، هو غيابُ مطلبِ الجماهيرِ المسلمةِ الدائمِ بتحكيمِ الشريعةِ من شعاراتِ الثورةِ في بدايتِها، مع أن الجماهيرَ متمسكةٌ به، بل لقد استغلته بعضُ الحركاتِ لتفوزَ في الانتخاباتِ -التي تلت الثوراتِ- بإثارةِ عواطفِ الجماهيرِ؛ بأنها حركاتٌ إسلاميةٌ ستسعى لتحكيم الشريعةِ، ثم لما جاءت مرحلةُ تدوينِ الدساتيرِ،

تملصت أكثرُ تلك الحركاتِ من وعودِها، واكتفت بنصوصٍ غامضةٍ، بل وبعضُها -كحركةِ النهضةِ- تنازلت عن أحكامِ الشريعةِ، ثم كشفت أخيرًا عن وجهِها العلماني.

وبعضُ الحركاتِ الأخرى -التي لم ترمِ بحجرٍ في الثوراتِ، واكتفت بموقفِ المتفرجِ- انقلبت في حركةٍ مسرحيةٍ على موقفِها السابقِ من الديمقراطيةِ، واستغلت كونَها سلفيةً وتطالبُ بالشريعةِ لتكون سندًا لمجرمي الأمنِ وعونًا لطواغيتِ العسكرِ، بل وأعلنت أنها لن تعارضَ اتفاقاتِ السلامِ مع إسرائيلَ، وليس لديها مانعٌ من أن يكونَ منها سفيرٌ لدى إسرائيلَ.

ومن أخطرِ النقائصِ -أيضًا في تلك الثوراتِ- أن القياداتِ -التي سارعت بركوبِ موجتِها- كان كثيرٌ منها -إن لم تكنْ أكثرُها- ممن تعايشت لعقودٍ مع الأنظمةِ الفاسدةِ، وشاركت في مجالسِها التشريعيةِ، والتزمت بقوانينِها ودساتيرِها، بل وشاركت في حكوماتِها، بل منها من كان من أركانِ هذه الحكوماتِ الفاسدةِ، ومنها من كان من طائفةِ المعارضةِ المستأنسةِ، التي يحتاجُها النظامُ ليجملَ وجهَه المشوهَ القبيحَ، ومنها من نما وترعرع وتوسع تحت إشرافِ وتوجيهِ الأجهزةِ الأمنيةِ، التي تعمل طبقَ التوجيهاتِ الأمريكيةِ بضربِ الحركاتِ الإسلاميةِ بالحركاتِ الإسلاميةِ، فكانت تعارضُ النظامَ في فرعياتٍ، ولكنها ترفضُ تمامًا أيَ جهادٍ أو قتالٍ ضده، بل حتى أيَ خروجٍ على قوانينِه.

فهذه القياداتُ لا يمكنُ أن تقودَ ثورةً مسلمةً أو كافرةً، لأن الثورةَ -كفعلٍ اجتماعيٍ تغييريٍ- لا بد لها لكي تنجحَ من أن تقتلعَ النظامَ الفاسدَ من جذورِه، وتقيمَ مكانَه نظامًا جديدًا.

وهذا ما لم تتربَ عليه تلك القياداتُ، التي عاشت في تفاهمٍ وتوائمٍ -بل وكثيرًا في توادٍ وتعاطفٍ- مع المجرمين الفاسدين، وهذا النهجُ الثوريُ الجذريُ لا تعرفُه القياداتُ، التي تفخرُ بأن مجرمي وجلادي الأمنِ شهدوا لها بالبعدِ عن العنفِ، ولا تطيقُه القياداتُ، التي شابت على الدعوةِ لطاعةِ ولِي الأمرِ، ولو كان شيطانًا من الأبالسةِ، ولا تقوى عليه القياداتُ التي نكصت على عقبيها، وانقلبت على مبادئِها، وأعلنت ندمَها على الجهادِ، ورضوخَها لطواغيتِ الحكامِ، لأنهم حكامٌ شرعيون، يَحْرُمُ الخروجُ عليهم.

ولذلك فرضت هذه القياداتُ نفسيتَها وسلوكياتِها المنهارةَ على أتباعِها، وحرفت مسارَ طوفانِ الغضبِ الشعبيِ لمستنقعِ المساوماتِ والتنازلاتِ بل والسقطاتِ.

ولذلك حرِصت هذه القياداتُ على عدمِ مواصلةِ المواجهاتِ مع أجهزةِ الأمنِ وأركانِ النظامِ وقواتِه حتى ينهارَ أمام الانتفاضةِ الشعبيةِ، بتضحياتِ آلافِ الضحايا المنتفضين المقاومين، كما في تاريخِ كلِ الثوراتِ.

بل وحرِصت تلك القياداتُ على منعِ المواجهةِ العنيفةِ مع قواتِ النظامِ، فسمعنا عبارتَهم الخادعةَ: "الجيشُ والشعبُ يدٌ واحدةٌ"، مع أن هذه الجيوشَ المتأمركةَ ما نزلت للشوارعِ إلا لقتلِ الجماهيرِ الثائرةِ، ولكنَّ أكابرَ المجرمين في واشنطنَ لم يصدروا لها الأوامرَ، وأداروا الأزمةَ بالمكرِ والخداعِ.

وسمعنا أيضًا عبارتَهم المضللةَ: "سلميتُنا أقوى من الرصاصِ"، متجاهلين قولَ الحقِ سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُم﴾، وقولَه سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾.

فماذا كانت نتيجةُ شعارِ (سلميتُنا أقوى من الرصاصِ)، كانت نتيجتُه أنْ قتلَ رصاصُ النظامِ المرتدِ المجرمِ العميلِ الفاسدِ آلافَ المسلمين المسالمين بلا مقاومةٍ ولا مدافعةٍ، ثم تسلط ذلك النظامُ على أنقاضِ النظامِ المتراجعِ المسالمِ.

وحرصت كذلك تلك القياداتُ المنهزمةُ نفسيًا على إعلانِ أن شعارَها هو التنازلُ، كما كان يكررُ الغنوشيُ، فماذا كانت نتيجةُ تنازلاتِهم، كانتِ النتيجةُ عودةَ الإجرامِ السابقِ أقوى مما كان، وأشدَ مما سبق.

ولأنَّ هذه القياداتِ كانت أضعفُ من مواجهةِ باطلِ الطاغوتِ، فقد حرِصت على الإسراعِ بتلبيةِ دعواتِ التفاوضِ والتفاهمِ مع مجرمي الداخلِ والخارجِ، والرضا ببقاءِ رموزِ النظامِ الفاسدِ المجرمِ المرتدِ في مواقعِهم، واستمرارِ مقاليدِ الأمورِ في أيديهم.

وكذلك حرِصت هذه القياداتِ على استرضاءِ أكابرِ المجرمين وعلى رأسِهم أمريكا، والسعي في تلميعِ صورتِها أمامَهم، فرأينا محمدَ مرسي يؤكدُ على التزامِه باتفاقياتِ الاستسلامِ مع إسرائيلَ ومعاهداتِ التعاونِ العسكريِ والأمنيِ مع أمريكا.

وسمعنا الغنوشيَ وهو يقولُ بأنهم منشغلون بهمومِهم عن مقاومةِ التطبيعِ مع إسرائيلَ.

وكان من أخطرِ النقائصِ أيضًا في هذه الثوراتِ حرصُ كثيرٍ من القياداتِ على عدمِ تمييزِ العدوِ من الصديقِ، تضليلًا للغضبِ الشعبيِ وتضييعًا لمسارِه.

فرأينا الجيوشَ المتأمركةَ المحاربةَ للإسلامِ في تونسَ ومصرَ واليمنِ، توصفُ بأنها حاميةُ الثوراتِ، ويُرْضَخُ لأحكامِها وسلطانِها، ويُتقربُ منها ويُتزَلفُ.

ورأينا محمدَ مرسي يذهبُ لمجرمي وزارةِ الداخليةِ في وكرِهم، ويطمئُنهم بأنهم لن يَمَسَهم أذىً، ورأينا عمائمَ السلطةِ المنافقةِ، رجالِ المباحثِ، الذين كانوا يُفتون بحرمةِ التظاهرِ، يُعظمون ويُقدمون ويُبجلون.

ورأينا حثالاتِ العلمانيين، الذين طالما نافقوا الأنظمةَ الفاسدةَ وتعدَوا على المسلمين، يُتقربُ منهم ويُتوددُ، ويُوصفون بأنهم ثوارٌ وشركاءُ الثورةِ.

ورأينا التحاكمَ للشريعةِ يُضحى به من أجلِ إرضاءِ هذه الحثالاتِ، فقد صرح قادةُ حزبِ النهضةِ في تونسَ بأنهم لن يطالبوا بأن تكونَ الشريعةُ الإسلاميةُ مصدرًا للتشريعِ، لكي يصلوا لدستورٍ توافقيٍ.

ورأينا أحدَ قادةِ الإخوانِ يقولُ إنهم سيكتفون بالنصِ في الدستورِ على أن مبادئَ الشريعةِ مصدرٌ أساسيٌ للتشريع حرصًا على الإجماعِ الوطنيِ، فماذا فعل به من حرِص على إجماعِهم؟

وكان من أكبرِ النقائصِ أيضًا التي حرِص عليها الكثيرُ من القياداتِ تغليبُ شعاراتِ وقيمِ الدولةِ الوطنيةِ على الأخوةِ الإيمانيةِ ووحدةِ ديارِ المسلمين، ليرضى عنهم العلمانيون وأكابرُ مجرمي الغربِ، ولم يرَضَوا.

وكان من أكبرِ النقائصِ كذلك -التي بددت طوفانَ الغضبِ الشعبِي- حِرْصُ كثيرٍ من القياداتِ على الصراعِ على المكاسبِ والمغانمِ، فرأينا -في مصرَ- التياراتِ المنتسبةَ للعملِ الإسلامي، بعد أن استصدروا الفتاوى -التي لا صلةَ لها بالواقعِ ولا بثوابتِ الشرعِ- بجوازِ دخولِ الانتخاباتِ بذريعةِ الضرورةِ، رأيناهم بعد ذلك -لا توحدُهم تلك الضرورةُ- بل يختلفون ويتصارعون، بل ويتحالفون مع العلمانيين وفلولِ النظامِ السابقِ ضد بعضِهم.

ورأينا في اليمنِ كيف لعِب المالُ الخليجيُ برؤوسِ الأحزابِ السياسيةِ، وكيف أصبح الحوثيون إخوانًا لهم، وكيف عُين نائبُ المخلوعِ مكانَ المخلوعِ، حرصًا على مكاسبِ الدنيا الخسيسةِ.

ونرى اليومَ في الشامِ عبثيةَ الانشقاقِ والاتفاقِ والاقتتالِ وسفكِ الدمِ الحرامِ لمجردِ سرابٍ من التمكينِ المتآكلِ، ورأينا كيف تديرُ الدولُ من خارجِ الشامِ الصراعَ في الشامِ بالتمويلِ والتخويفِ من الإدراجِ على قوائمِ الإرهابِ.

كلُ هذه وغيرِها كانت من أسبابِ هزيمةِ الثوراتِ العربيةِ.

إذن في كلماتٍ معدوداتٍ ما هو طريقُ الخلاصِ والنصرِ؟

طريقُ الخلاصِ والنصرِ هو بالوعي، وهو أكبرُ معركةٍ يجب أن نخوضَها لتوعيةِ الأمةِ بما هو المفروضُ عليها، وما هو واجبُها؟ وما هو الفرقُ بين الحقِ والباطلِ؟ ومن هو عدوُها ومن هو صديقُها؟

ولتوعيتِها بأن التفاهمَ مع الأنظمةِ الفاسدةِ في بلادِنا ومع أكابرِ المجرمين -وعلى رأسِهم أمريكا- لا يؤدي إلا لخسارةِ الدينِ والدنيا.

وأن المولى سبحانه قد أمرنا بأن نقاتلَ المفسدين باللسانِ والبيانِ والسنانِ، قال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

وأن نجتمعَ جميعًا متحدين حولَ كلمةِ التوحيدِ، نخوضُ جهادَ الأمةِ من كاشغرَ حتى سواحلِ الأطلسي، ومن قممِ القوقازِ حتى الصومالِ ووسطِ إفريقيا، نجتمع متكاتفين كأمةٍ واحدةٍ تخوضُ معركةً واحدةً على جبهاتٍ متعددةٍ، لا أن نخوضَ معارِكَنا على أننا تنظيماتٌ قطريةٌ ضيقةٌ مرعوبةٌ من التصنيفِ بالإرهابِ.

إنها معركةُ الأمةِ كلِها بعلمائِها الصادقين ومجاهديها المستبسلين وأهلِ الرأيِ والتجارِ والزعماءِ والحكماءِ المخلصين.

علينا أن نعلمَ أن معركتَنا طويلةٌ، وأنها معركةُ العقيدةِ والوعيِ قبل معركةِ السلاحِ والقتالِ، بل معركةُ السلوكِ والتربيةِ والزهدِ في الدنيا قبل التفجيرِ والاغتيالاتِ وجمعِ الغنائمِ.

فلنتحدْ ولنتقاربْ ولنصطفْ ولنصلحِ الخللَ ونسدَ الثغراتِ، ولنصدقْ مع ربِنا ليُنْزِلَ نصرَه علينا، قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾، وقال عز من قائلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِ العالمين، وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِه وصحبِه وسلم. والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.